

أضواء البيان

. @ 341

وبتأمل كلام ابن حجر ، نجده يتضمن إجراء معادلة على نص الحديث بأن له حالتين فقط . .
الأولى : أن يقال لا تشد الرحال إلا إلى المساجد الثلاثة لخصوص الصلاة ولا تشد لغيرها من
الأماكن لأجل الصلاة ، فيكون النهي منصباً على شد الرحال لأي مكان سوى المساجد الثلاثة من
أجل أن يصلي فيما عداها . فيبقى غير الصلاة خارجاً عن النهي فتشد له الرحال لأي مكان كان
. .

وغير الصلاة يشمل طلب العلم والتجارة والنزهة والاعتبار والجهاد ونحو ذلك ، والنصوص في
ذلك كله متضادة . .

ففي طلب العلم ما قدمنا من نصوص ، وقد رحل نبي الله موسى إلى الخضر ، كما قال تعالى : {
وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ
أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا } إلى قوله : { لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا }
إلى قوله : { قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا
عُلِّمْتَ رُشْدًا } . .

وفي السفر للتجارة قوله تعالى : { وَءَاخِرُونَ يَصُوبُونَ فِي الْآسْرِ رُضًا
يَصِيبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ } . وقوله : { هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْآسْرَ رُضًا
ذَلُولًا فَأَمَّا شُؤْوا فِي مَنَّا كِبِيرَهَا وَكُلُّوا مِنْ رِزْقِهِ } وغيرها كثيرة . .
والسفر للعبادة قوله تعالى : { قُلْ سِيرُوا فِي الْآسْرِ رُضًا فَانظُرُوا } . .
وقوله { ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآسْرَ خَرَيْنَ وَإِنْ نَكُومُ لَنَنصُرَنَّكُمْ } . .
مُصْبِحِينَ وَبِالْآسْرِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } . .

وقوله : { فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ
خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبَنِينَ مَعْطُولَةً وَقَصْرٍ مَشِيدٍ أَفَلَا مَعْرِفَةٌ
يَسِيرُوا فِي الْآسْرِ رُضًا فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ
يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْآسْرَ بِصَارٍ وَلَا كُنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ
الَّتِي فِي الصُّدُورِ } . .

فقد أمر الله العباد بالسير ليعقلوا بقلوبهم حالة تلك القرى الخاوية ليتعظوا بأحوال
أهلها .